

## نبيهة عبود ودور المرأة الشرقية الحاكمة دراسة في كتابها

(ملكنتان من بغداد)

م.د. وميض محمد شاکر إبراهيم\*

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/١٠/٣

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٨/٩

الكلمات المفتاحية: الهادي، الرشيد، الخيزران

المستخلص:

نبيهة عبود مؤرخة وباحثة غربية من أصول شرقية، قدمت عبر مسيرتها العلمية الطويلة والثرية أعمالاً تركت أثراً كبيراً في الفهم الغربي للإسلام والحضارة التي أنتجه، ومن الآثار المهمة التي تركتها كتابها (ملكنتان بغداد)، الذي أرخ لشخصيتين لمعتا في مطلع العصر العباسي هي الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد، وزبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين، إذ جاء هذا الكتاب ليقدم نموذجاً للدور السياسي الفعال الذي لعبته المرأة الشرقية متمثلة بشخص كل من الخيزران وزبيدة ودورهما في صناعة أحداث كانت ذات أثر مهم داخل البلاط العباسي.

مقدمة

يسلط البحث الضوء على باحثة غربية ذات أصول مشرقية عملت في ميدان الاستشراق لفترة طويلة من عمرها البحثي؛ ألا وهي المستشرقة الأمريكية نبيهة عبود، التي مثلت أول عنصر نسوي شغل مقعداً في معهد شيكاغو للدراسات الشرقية. استطاعت من خلال مكثها في هذا المعهد تقديم عدد مهم من الدراسات المتنوعة في ميدان التراث العربي الإسلامي، وكانت أبرز الجوانب التي ركزت

\* قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

عليها في عملها هو دراسة وضع المرأة الشرقية ، والأثر المهم الذي تركته بعض النسوة اللاتي برزن في التاريخ الإسلامي من خلال أثرهن على سلطة الحاكم ،وقد قدمت نماذج لتلك النسوة أبرزهن الخيزران وزبيدة .

قسم البحث على ثلاث محاور اهتم الأول بدراسة سيرة حياة نبيهة عبود من إذ تفاصيل حياتها العلمية وصولاً إلى استقرارها في معهد شيكاغو للدراسات الشرقية ، والإشارة إلى أثرها العلمي والأكاديمي. أما المحور الثاني فقد خصص لإعطاء لمحة سريعة عن الكيفية التي تشكلت فيها الرؤية الاستشراقية عن المرأة الشرقية -المسلمة - والاهتمام الذي أولاه المراقب الغربي لها.

أما المحور الثالث والأخير وهو ركيزة دراستنا هذه ، فقد جاء لبيان الكيفية التي تعاملت فيها نبيهة في وصف الأثر المهم الذي مارسته المرأة الشرقية ودورها المهم المؤثر متمثلة بكل من الخيزران وزبيدة في كتابها **ملكستان من بغداد** ، وحقيقة كتاب **ملكستان من بغداد** لم يكن الأول من نوعه في مسيرة نبيهة في اهتمامها بالمرأة الشرقية ؛ إنما سبقه جهد آخر تحدثت فيه عن عائشة زوجة الرسول (صلى الله عليه وسلم ) ، ويبدو ان نبيهة كان لديها مشروع لتتبع الأثر السياسي للمرأة الشرقية في صناعة القرار .

وأخيراً فقد اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع التي ساعدت الباحث في تعزيز الرؤية عن الطريقة التي قدمت فيها نبيهة فهماً معمقاً تبين فيه للمتلقي الغربي الدور المهم للمرأة الشرقية وأثرها السياسي على بلاط الحكم خاصة وهما امرأتان ارتبط اسمهما بأشهر اسم عرفه الغرب ألا وهو هارون الرشيد بطل قصص ألف ليلة وليلة.

أولاً - لمحة في سيرة حياة نبيهة عبود :

١. تعليمها المبكر :

ولدت نبيهة عبود (Nabia Abbott) في مدينة ماردين (جنوب غرب تركيا) ، في (٣١) كانون الأول عام (١٨٩٧م)<sup>(١)</sup> ، وكانت لا تزال طفلة حين سافرت مع عائلتها في عربة بصحبة قافلة من الخيالة البدو نزولاً إلى الموصل<sup>(٢)</sup> . وأبحرت العائلة نزولاً خلال نهر دجلة إلى بغداد ولاحقاً إلى الخليج العربي . لتبدأ رحلة أخرى إلى مومباي عام (١٩٠٧م)، وهناك دخلت مدارس انكليزية<sup>(٣)</sup> ، إذ استغرقت فيها كل دراستها للمرحلة الثانوية ، لتصبح مؤهلة الالتحاق بجامعة كامبريدج حتى عام (١٩١٥م)<sup>(٤)</sup> ، لكنها بقيت في الهند خلال الحرب العالمية الأولى، وارتحلت لشمال لكينو (Luck now)<sup>(٥)</sup> ، إذ التحقت بكلية

(1) Muhsin mahdi : journal of near eastern studies ,vol 4, no 3 , Arabic and Islamic studies in honor of nabiaabbott : part one (jul-1981) ,p: 163 .

(2) lbd,p: 163.

(3) lbd,p:163.

(4) lbd,p:163.

(٥) ليكنو :هي اكبر مدينة , وعاصمة ولاية اوتار براديش الهندية , وهي أيضا المقر الإداري للمنطقة . وتعتبر من أكثر مناطق التكتل السكانية في الهند , ولطالما عرفت ليكناو كمدينة متعددة الثقافات وازدهرت كمركز ثقافي وفني في شمال الهند من القرنين الثامن والتاسع عشر , ولا تزال مركزا هاما للحكومة والإدارة والتعليم والتجارة والقضاء والمالية والتكنولوجيا والتصميم والثقافة والسياحة والموسيقى والشعر . للمزيد ينظر : [Wikipedia.org/wiki/lucknow](https://www.wikipedia.org/wiki/lucknow).

إيزابيلا ثورن للبنات (Isabella Thoburn)<sup>(١)</sup>، وحصلت منها على البكالوريوس في الآداب والفنون و بمرتبة الشرف عام (١٩١٩م)<sup>(٢)</sup> .

ب . نشاط نبيهة عبود وبداية حياتها المهنية :

والتحقت نبيهة فيما بعد لبدء برنامج تعليم المرأة في العراق خلال نشوء الملكية فيه ، إذ تمتعت بدعم كبير من المس غيرتروود بيل\*<sup>(٣)</sup> ، ويبدو أنها استمرت بالعمل في هذا البرنامج إلى عام (١٩٢٥م)، إذ تبعت اسرتها لمدينة بوسطن الأمريكية وحصلت هناك على الماجستير في الآداب من جامعة بوسطن (Boston) ومن ثم انضمت للكادر التدريسي في كلية ازبيري<sup>(٤)</sup> ، في مدينة ويلمور (Wilmore) في مقاطعة كنتاكي (Kentucky) ، درّست في قسم التعليم .ومن ثم

(٦) وهي مؤسسة فرعية تمنح شهادات جامعية في الله آباد ، والتي هي عبارة عن منطقة واسعة لهيئة استشارية بريطانية تدير عملية الامتحانات النهائية وتخرج الطلاب ويبدو أنها إحدى المدارس التبشيرية التي كانت منتشرة بالهند ، أسست على يد الأتسة إيزابيلا ثورن عام (١٨٧١) . للمزيد ينظر :

Jaya indiresan : education for women's empowerment , gender – positive initiatives in pacesetting women's colleges , (2002) ,p:270.

(٧) يشير محسن مهدي إلى أن العديد من زميلات نبيهة في كلية إيزابيلا أصبحن مستقبلا من العناصر النسوية القيادية في الهند ؛ للمزيد ينظر :

Muhsin :lbd,P:163

(8) Muhsin,ibd,p:164.

\*المس بيل : وهي جيرتروود مارغريت لوثيان بيل (١٩٢٦.١٨٦٨) كاتبة انكليزية ، رحالة وذات مركز سياسي مرموق وعالمة آثار مستكشفة أصبحت من المؤثرين جدا في صناعة ملامح السياسة الامبريالية البريطانية بسبب المعرفة والعلاقات الواسعة التي اكتسبتها من خلال رحلاتها الواسعة في سوريا وبلاد ما بين النهرين وAsia الصغرى والجزيرة العربية ، ساعدت بيل الأسرة الهاشمية في تشكيل العراق والأردن ؛ للمزيد ينظر : مقدمة الترجمة لكتاب ، جيرتروود لوثيان بيل : الصحراء المعجزة ، ترجمة : عادل زكار ، ( الرياض : مكتبة عيكان . ٢٠٠٤ ) ، ص ٩ .

(9) Muhsin:lbd,p:163.

أصبحت رئيسة قسم التاريخ فيها ما بين عامي (١٩٣٣.١٩٢٥م) <sup>(١)</sup> ، وانتقلت عائلتها للإقامة في ولاية شيكاغو (Chicago) حينها انضمت نبيهة للتدريس في الفصول التي يقدمها مارتن سيرنكلنك (Martin sprengling) ، (١٩٥٩.١٨٧٧م) <sup>(٢)</sup> ، وأصبحت نبيهة بعد ذلك أستاذة للغة العربية في المعهد الشرقي <sup>(٣)</sup> ، وهي أول عضو نسوى مارس التدريس في المعهد الشرقي ( The oriental Institute).

ويبدو أن طول المدة التي قضتها نبيهة في المعهد الشرقي هي التي حددت اهتماماتها المستقبلية <sup>(٤)</sup> ، حيث أن نتاج المعهد تمحور في المدة التي سبقت والتي تلت الحرب العالمية الأولى والثانية حول العلاقة بين الدراسات العربية الإسلامية والشرق الأدنى القديم . فالمعهد ضم العديد من الوثائق الثمينة للفترة

(10) lbd,p:163.

(١١) مارتن سيرنكلنك : بروفيسور لamac في اللغات السامية ولد في واشنطن عام (١٨٧٧) وتوفي (١٩٥٩)، بدأ بتدريس اللغات السامية والأدب الشرقي في جامعة شيكاغو ما بين عامي (١٩٣٢ .١٩٣٨) ، والواضح أن تواجد نبيهة في تلك الفترة في الجامعة تزامن مع قدوم مارتن ، بحيث كان له تأثير كبير في طبيعة اهتمامها البحثي ، للمزيد ينظر :

Nabia Abbott: martin sprengling ,Journal of near eastern studies ,volume 19 ,number 1 ,jan,1960 ,p:54.

(12) Muhsin :lbd,p: 164.

(13) lbd,p: 164 . ويشير العقيلي في هذا الصدد أنه بفضل العوامل السياسية والثقافية و الاقتصادية يوم الفت . الولايات المتحدة نفسها بحاجة الى تفهم البلاد الاسلامية أعدت لها عدة برامج دراسية في الجامعات والمعاهد وعينت بالمكتبات وسخت على البعثات والمعاهد ، والمعهد الشرقي كان ابرز ميادينها ، للمزيد ينظر :  
المستشرقون ، ٩٨٠/٣ .

الإسلامية المبكرة<sup>(١)</sup>، ويشير محسن مهدي<sup>(٢)</sup>؛ إلى انه لطالما اعتبرت نبيهة المعهد الشرقي منزلاً لها ، لذلك لم تتركه أبداً ماعداً سنة واحدة فقط عندما ذهبت للشرق الأوسط على سبيل التفرغ بين عامي (١٩٤٦-١٩٤٧م)<sup>(٣)</sup>، إذ درست ونشرت العديد من الوثائق السياسية للفترة الإسلامية المبكرة، بحيث مكنتها دراستها تلك من الحصول على وثائق مهمة أخرى وسعت بها مقتنيات مكتبة المعهد في هذا المجال .

عملت نبيهة على الاستفادة الكاملة من الفرص التي منحت لها تحقيقاً وتدریساً للمواضيع التي تطلب منها العمل عليها وتقديمها بأشد درجات الدقة والرصانة<sup>(٤)</sup>. إن عمل نبيهة الدؤوب في المعهد الشرقي نتج عنه العديد من الأعمال المهمة ؛ إضافة إلى أنها نوعت ميدان دراستها فلم تقف عند دراسة الوثائق المصرية القديمة والبرديات ، بل شمل عملها أيضاً دراسات تتناول تاريخ الإسلام المبكر ، كانت أهم حقولها ما قدمته نبيهة في دراستها لوضع المرأة المسلمة ودورها السياسي الذي لعبته في الفترة المبكرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، وقد استمرت نبيهة

(١٤) جاءت هذه المسألة في الاهتمام المبكر للمعهد بدراسة التاريخ المصري القديم في الفترة ما بين (١٩٣٠-١٩٦٠) ، والذي من خلاله بدأوا بدراسة التاريخ الاسلامي ؛ للمزيد ينظر : العقيلي ، المستشرقون ، ٩٩١.٩٩٠ /٣ .

(15) Muhsin ,lbd,p:164.

(١٦) العقيلي : المستشرقون ، ١٠٠٩.١٠٠٨/٣ ؛ للمزيد ينظر :

Muhsin :lbd,p:164.

(17) lbd,p:164.

في المعهد الشرقي حتى عام (١٩٦٣م)<sup>(١)</sup>، إذ عملت بعدها كأستاذ متفرغ ،  
وتوفيت نبيهة في (١٥ تشرين الأول ١٩٨١م)<sup>(٢)</sup> .  
ج . آثارها وأعمالها :

نظراً لطبيعة عمل واهتمامات المعهد الشرقي ، وطول الفترة التي قضتها  
نبيهة في العمل فيه ؛

الأمر الذي رسم نوع اهتماماتها وطبيعة الدراسات التي قدمتها ، فقد ضم المعهد  
مخطوطات إسلامية ثمينة كتبت على الرق والبردي والورق<sup>(٣)</sup> ، كرست نبيهة  
نفسها للعمل عليها من خلال دراسة تاريخ الإسلام المبكر والاهتمام بعلم اللغة<sup>(٤)</sup>  
، التي كانت ابرز الجوانب التي يهتم بدراستها المعهد الشرقي، لذلك جاءت  
مجموعة الدراسات التي قدمتها نبيهة متنوعة ما بين ميدان اللغة والتاريخ الإسلامي  
ويمكن من خلال حصر مجموعة الكتب التي قدمتها نبيهة خلال حياتها البحثية  
استبيان اهتماماتها :

١. أديرة الفيوم عام (١٩٣٧م)<sup>(٥)</sup> .

---

(18) The oriental institute: Annual report ,1980–1981,editor ,johnbrinkman , the  
university of Chicago ,introduction ,p: 3.

(19) lbd,p:3.

(٢٠) العقيقي : المستشرقون ، ١٠٠٨/٣ . للمزيد ينظر :

Muhsin :ibd,p:164.

(21) Muhsin, lbd,p: 164.

(٢٢) العقيقي : المستشرقون ، ١٠٠٨/٣ ؛ وينظر :

Publications of the oriental institute 1906–2014,exploring the history and  
civilizations of the near east ,edit by : Thomas G. urban ,published by : the  
university of Chicago ,2014 ,p:17 .

٢. قرّة بن شريك حاكم مصر عام (٩٣٨م) <sup>(١)</sup> .
٣. ظهور النص العربي الشمالي وتطوره في الرسم القرآني مع وصف كامل لمخطوطات القرآن في المعهد الشرقي عام (٩٣٩م) <sup>(٢)</sup> .
٤. عائشة عام (٩٤٢م) <sup>(٣)</sup> .
٥. ملكستان من بغداد عام (٩٤٦م) <sup>(٤)</sup> .
٦. دراسة في وثائق المرويات العربية عام (١٩٥٥-١٩٧٢م) كتاب في ثلاث أجزاء <sup>(٥)</sup> .

ولم تقتصر انجازات نبيهة على عناوين الكتب فحسب بل كان لها دراسات وبحوث مهمة عالجت فيها مواضيع شتى نشرت في مجلات عديدة ،إضافة لتعقيباتها على الكتب التي كانت تنشر لم نذكرها هنا لعدم الإطالة .

#### ثانياً - المرأة الشرقية في كتابات المستشرقين:

تباينت وجهات النظر الغربية تجاه الشرق بشكل عام ، وتجاه المرأة المسلمة الشرقية بشكل خاص ، فمنذ بدأ الفكر الغربي يتحسس منطقة الشرق تركز مساره في خطين بارزين :- أولهما

---

(23) Nabia Abbott : the kurrah papyri from Aphrodite in the oriental institute ,(Chicago: university of Chicago -1938), and publication of the oriental institute ,p: 15.

(24) Nabia Abbott :the rise of the north Arabic script and its kur'anic development with a full description of the kur'an manuscripts in the oriental institute ,(Chicago : university of Chicago -1939) ,p:24.

(25) Aishah the beloved of Mohammed ,(Chicago : university of Chicago -1942),p:3.

(26) Two queens of Baghdad ,the mother and wife of Harun Al-Rashid (Chicago : university of chicago-1946).

(27) Studies in Arabic literary papyri ,(Chicago : university of Chicago -1955-1972), in three parts .



بأن الشرق هو أرض "الفسق والملذات" <sup>(١)</sup>؛ وثانيهما -: أن الشرق هو "عالم العنف والشر المتأصلين". وقد أثرت تلك المقولتين في العصور الوسطى، وظلنا نترددان بدرجات متفاوتة من القوة حتى وقتنا الحاضر <sup>(٢)</sup>، بحيث أصبحت هنالك سلوكية نمطية في التعاطي مع أهم مسائل الشرق. ولكون الشرق بمجمله مستهدف من الناظر الغربي لأجل فهم طبيعة كيانه، لذلك فقد كانت النساء الشرقيات هدفاً مباشراً للباحثين الغربيين <sup>(٣)</sup>.

وبعرضٍ موجزٍ يمكن الإشارة إلى الكيفية التي تطورت فيها الرؤية الغربية عن المرأة المسلمة -الشرقية-، ويمكن القول أن الغرب كون صورةً مسبقةً عن نساء الشرق مستقاة من الروايات الرومانسية وقصائد الشعر وكتب الرحلات وحكايات الكتاب المقدس <sup>(٤)</sup>، وعليه فقد كانت المشاعر الغربية حيال المرأة الشرقية تتذبذب بين الرغبة والشفقة وبين الاحتقار أحياناً، فمنذ تعرف الغرب على الشرق شكلت المرأة التي كانت محجوبة عن عين المشاهد الغربي، رمزاً فتنت به أوروبا

(٢٨) إن هذه الصورة الخاطئة دامت حتى منتصف القرن الثامن عشر، فقد اعتبر الشرق الاوسط منبع اليهودية و المسيحية والاسلام، فضلاً عن حضارات اخرى قديمة و بارزة كانت معقلاً للجهل والحروب وارضاً للوحوش و المخلوقات الغربية؛ للمزيد ينظر: ناجي عويجان: تطور صورة الشرق في الادب الانكليزي، ترجمة: تالا صباغ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية - ٢٠٠٨)، ص٩.

(٢٩) محمد يحيى خراط: المرأة الشرقية في عيون المستشرقين، مجلة المعرفة، سوريا، العدد ٥٢١، شباط ٢٠٠٧، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٣٠) تقول جودي مابرو أن الحريم والحجاب استفز رحالة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بحيث اصبح لديهم هاجس أن المرأة المسلمة تعيش سجن داخل البيت بحيث استثار ردود أفعال معادية لنظام الحياة المغلق في الشرق المناقض للحياة المنفتحة والودودة في الغرب. للمزيد ينظر: حقائق غائبة خلف الحجاب، ترجمة: معين الامام، (اللاذقية: دار نون للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٧٧)، ص١٢؛ وينظر: خراط: المرأة الشرقية، ص٢٤.

(٣١) مابرو: حقائق غائبة خلف الحجاب، ص١٠.

ونفرت منه في آنٍ معاً<sup>(١)</sup> ، وتقول مابرو (Mabro)<sup>(٢)</sup> : " وعلى الدوام اعتبرت أوروبا نفسها أنها تعلم بأن النساء المسلمات يعانين من الظلم والاضطهاد، وهي قضية تناولتها لسنين طويلة كتب الرحلات والأدب والفن في الغرب، حتى غدت حقيقة لا تقبل النقاش ولا تزال ردود الفعل الغربية على الحجاب ومؤسسة الحريم قوية وعنيفة اليوم كما كانت دائماً في الماضي". ولأجل التوصل لكيفية تطورت النظرة الغربية للمرأة المسلمة ، لا بد من تسلسل منطقي مبسط لبعض الآراء التي اهتمت بطبيعة حياة المرأة المسلمة وصولاً لهدف هذه الدراسة وهو الكيفية التي جرى فيها تناول موضوع أثر النساء المسلمات على بلاط الدولة والأثر السياسي المباشر الذي مارسته المرأة في الخفاء وطريقة عرض نبيهة لهذه المسألة .

أن التصوير المبكر لوضع المرأة الشرقية كان مبالغ فيه بمحاولة التركيز على ما تُركَ الحديث عنه ، وأول الصور التي قُدمت عن النساء الشرقيات إتهمتهم بالمكر والخديعة ، ويرى تشاردان<sup>(٣)</sup> ( Jean Chardin ) : " ... أنهم أكثر نساء الأرض مكرراً وأنهن متعجرفات وغادرات وشريرات... وأنهن يقضين كل حياتهن في الإعداد للجنس وحبك المكائد " <sup>(٤)</sup>.

(٣٢) مريام كوك : النساء يطالبن بإرث الإسلام صياغة نسوية اسلامية من خلال الادب ، ترجمة و تقديم : رنده

ابو بكر ( القاهرة : المركز القومي للترجمة . ٢٠٠٦ ) ، ص ١٧٣ .

(٣٣) حقائق غائبة ، ص ١٠ .

(٣٤) شاردان رحالة فرنسي كتب عن فارس وتركيا والهند ، كان أبوه جواهرجيا يدين بالمذهب البروتستانتي ، ولد

في باريس سنة (١٦٤٥) وتوفي سنة (١٧٣٠) ؛ أشهر كتبه " يوميات رحلة الفارس شاردان " في فارس وفي

الهند الشرقية عن طريق البحر الأسود وبلاد القوقاز ، للمزيد ينظر : عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين

، (بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٩٣) ، ص ٣٦٩-٣٧٠ .

(35) John chardin : Sir John chardin's travels in Persia , (new York : cosimo inc-

2011),p:89.

وأكد بورتون (John Burrton)<sup>(١)</sup> على هذه الادعاءات فيما بعد ، ذلك انه عندما ترجم عن اللغات الشرقية ركز على النصوص الإباحية ، وكأن تلك النصوص هي الشيء الوحيد الذي يتميز به الشرق وبإمكانه تقديمه للغرب<sup>(٢)</sup> ، ففي ترجمة كتاب "الروض العاطر"<sup>(٣)</sup>، يصور الشرق أرضاً تنتشر فيها الرذيلة ، إذ يقول عنه هاني الخير<sup>(٤)</sup>، محقق الكتاب " إن الروض العاطر هو من الكتب السيئة الرخيصة ... وإن ترجمته للإنكليزية دعاية

سيئة لتراثنا العربي الإسلامي ... " ، كان بورتون ضليعاً في الثقافتين العربية والهندية ، ومع ذلك فإنه اختار من تلك الثقافتين موضوعاً واحداً فقط هو الجنس في الشرق . ويشير العقيقي إلى ذلك بالقول<sup>(٥)</sup> : " ... وترجمته لأف ليلة وليلة ترجمة فريدة في مطابقتها للأصل مطابقة شديدة تغامز عليه من اجلها كُتَبَ عصره " . ويقصد العقيقي بهذا الكلام انه كان هنالك مقاطع صريحة في ألف ليلة وليلة، قام المترجمون السابقون لبورتون بحذفها ، لان المجتمع الغربي مجتمع يرفض الأدب المكشوف و بورتون لم يأبه لهذه الناحية وترجم المقاطع المحذوفة . ومن المؤسف أن كثيراً من المستشرقين اعتمدوا على حكايا ألف ليلة وليلة لرسم صورة المرأة الشرقية ، علماً أن ألف ليلة وليلة لم تكن نصاً معتبراً يعتمد عليه في التراث الإسلامي ، فهي عبارة عن حكايات شعبية يزيد وينقص مستوى

(٣٦) السير ريتشارد بيرتون (١٨٢١-١٨٩٠) ، بريطاني المولد والنشأة التحق بالجيش البريطاني في الهند حيث أتم دراسة اللغتين العربية والهندية وتعلم الفارسية على أساتذة مسلمين ، زار العديد من البلدان الاسلامية ؛ للمزيد ينظر : نجيب العقيقي : المستشرقون ، ( القاهرة : دار المعارف بمصر . ١٩٦٥ ) ، ٤٨٦/٢ .

(٣٧) خراط : المرأة الشرقية ، ص ٢٢٤ .

(٣٨) محمد بن محمد النفزاوي : الروض العاطر في نزهة الخاطر ، إعداد وتحقيق : هاني الخير ، (دمشق : دار اسامة . ١٩٩٠) .

(٣٩) المرجع نفسه ، (مقدمة المحقق) ، ص ٣ .

(٤٠) المستشرقون ، ٤٨٧/٢ .

التشويق فيها بحسب الزمان والمكان فلو رجعنا للأصول التاريخية التي تحدثت عنها نجد أن المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) <sup>(١)</sup>، وضعها في باب أنها: " أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك بروايتها". كما صنفها ابن النديم (ت ٣٨٤هـ / ١٠٤٧م)، أنها من صنف الخرافات <sup>(٢)</sup>. وهذه الحكايات تم تداولها في الهند وبلاد فارس والعراق والشام ومصر.

ولم يكن اعتبارها بحال من الأحوال أنها تمثل أدب أمة من الأمم، بل كان ينظر إليها على أنها نوع من التسلية، وكما مر فإن كلاً من المسعودي وابن النديم عدوها من الخرافات التي تطرب آذان المستمع ولكن ربما لأتلقى استحسان الجميع <sup>(٣)</sup>.

انقلت قصص ألف ليلة وليلة إلى أوروبا لأول مرة عام (١٧٠٤م)، على يد الفرنسي أنطوان غالان (Antoine Galland) <sup>(٤)</sup>، ولكن للأسف. مثله مثل العديد من الأوربيين قبله. ركز جُل اهتمامه على مظاهر العنف التي يفترض أنها ملازمة للشرق <sup>(٥)</sup>. وقد افتنن الغرب بهذه القصص وهذا الافتتان جعل العديد من الغربيين يخلطون بين الشرق الحقيقي وشرق القصص التي يقرؤونه معتقدين أن تلك القصص هي وصف دقيق للمجتمع الشرقي وبطبيعة الحال للمرأة الشرقية

(٤١) ابو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها وضبطها : يوسف اسعد داغر ، ( بيروت : دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع . ١٩٩٦ ) ، ٢٥١/٢ .

(٤٢) أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم : الفهرست ، ضبطه وشرحه وعلق عليه : يوسف علي طویل ( بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠٠٢ ) ، ص ٤٧٥ .

(٤٣) خراط : المرأة الشرقية ، ص ٢٢٥ .

(٤٤) العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١٧٤ .

(٤٥) خراط : المرأة الشرقية ، ص ٢٢٥ .

(١). وبالمختصر فإن المغزى الروحاني القوي لمواضيع الجنس والحب والعنف والمكر والخداع ، هي التي تركت الانطباع الأعمق في ذهن الغربي ، والذي لا يمكن إزالته عن عالم الشرق بأنه خيالي ، شهواني وعنيف ، المسألة التي أصبحت أنماطا تتكرر في أعمال المستشرقين (٢) ، الأمر الذي أدى بهم أن يعتمدوا شهادات بعضهم لتدعيم صورة الشرق المتخيل ، بحيث أصبح لديهم هاجس رسم صورة مليئة بالغرائبية والشذوذ والمجون والعنف ؛ و بهذا طريقة كانت تطرح أمام القارئ طبيعة حياة المرأة الشرقية ، والحديث عن مؤسسة الحريم التي ظهرت لاحقاً بهذا الهدوء المريب وأخطار الدسائس ولذائذه الخفية ، وما تراكم فيه من تفاصيل يقصد التشويق و لا شيء غير التشويق .

دخلت طريقة العرض الغربي للمجتمع المسلم منحاً جديداً بالترجمة التي قدمها " إدوارد وليم لين " ( William Lane ) (١٨٠١ . ١٨٧٦) (٣) ، لكتاب ألف ليلة وليلة (٤) . إذ قام بوضع ترجمة رصينة لهذه القصص إلى الانكليزية تفردت عن سابقتها ، بالتزامها بروح المتن وفحواه وجوه ، وأضاف إليه شروح وتفسير وحواشي إضافية تحدثت عن العادات الإسلامية في القرون الوسطى (٥) . ولولا أهمية إسهام لين لما

(٤٦) شارل فيال : الوقوع في دائرة السحر ، الف ليلو وليلة في النقد الادبي الانكليزي (١٩١٠.١٧٠٤) ، ترجمة : كامل عويد العامري ، الاستشراق ، العدد ٤ ، شباط ، ١٩٩٠ ، ص٢١٣ .

(٤٧) لين ثورنتون : النساء في لوحات المستشرقين ، ترجمة : مروان سعد الدين ( دمشق : دار المدى للثقافة والنشر . ٢٠٠٧ ) ، ص٥ .

(٤٨) ادوارد وليم لين : المجتمع العربي في العصور الوسطى ، ترجمة : علي حسن الخربوطلي ، ( الجيزة : كتب ثقافية . ١٩٦٠ ) ، (مقدمة المترجم ) ، ص٣ .

(٤٩) العقيقي : المستشرقون ، ٤٨١/٢ .

(٥٠) المرجع نفسه ، ٤٨١/٢ ؛ وينظر : ادوارد وليم لين : عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم ، ترجمة : سبير دسوم ( القاهرة : مكتبة مدبولي . ١٩٩٩ ) ، ط٢ ، ( مقدمة المترجم ) ، ص٢٩ . وقد نشرت هذه الحواشي في كتاب مستقل تحت عنوان : المجتمع العربي في العصور الوسطى ، ترجمة : علي حسن الخربوطلي ( الجيزة : كتب ثقافية . ١٩٦٠ ) .

رأينا تأثيره البالغ على الكتابات التي ظهرت في الفترة التي تلتها<sup>(١)</sup> . إذ طرح فكرة أن الدين الإسلامي هو الذي منحت عادات وتقاليد المجتمعات الشرقية هذه النمطية المميزة والواضحة، مُوجِّدَةً بذلك تناسقاً اجتماعياً وأخلاقياً تطرحه الحكايات بوضوح . ويبدو أن هذه الفكرة كانت وراء وضعه هوامش تفصيلية لترجمته تلك (٢) .

ومن خلال الكم الهائل لتلك النتاجات التي قدمها الاستشراق ولمدة قرنين من الزمان ، درس فيها وضع المرأة الشرقية ، نستطيع حصر ببلوغرافيا مبسطة لأهم الأعمال التي تحدثت بشكل مباشر عن وضع النساء المسلمات داخل مجتمعاتهن . كان ابرز تلك الكتب " نساء العرب قبل الإسلام وبعده" (٣) ، عام (١٨٥٨م) للمستشرق الفرنسي بيرون . آي (٥) وكتاب "تسليط الضوء على الحريم" ، عام

(٥١) محسن جاسم الموسوي : الف ليلة وليلة في نظرية الادب الانكليزي ١٩١٠.١٧٠٤ (بيروت : مركز الانماء القومي . ١٩٨٠) ، ص ٢١٠.٢١١ .

(٥٢) يقول علي حسن الخربوطلي ان ادوارد وليم لين من ابرز المستشرقين الانكليز فقد عاش في مصر فترة طويلة ، درس خلالها المجتمع العربي وتشرب بالروح العربية الشرقية واطلع على الدراسات العربية والاسلامية هذا ما أثر في انطباعاته عن المجتمع الشرقي ، ينظر : المجتمع العربي في العصور الوسطى (مقدمة المترجم ) ، ص ٦٣ .

(٥٣) العقيلي : المستشرقون ، ١/١٩٥ .

(٥٤) المرجع نفسه ، ١/١٩٥ .

(٥٥) بيرون : (١٨٠٥ . ١٨٧٦) ، وهو طبيب تخرج من باريس وعين مديراً لمدرسة الطب في القاهرة ، رحل إلى السودان اشتهر بوفرة ما حقق وترجم ونشر من المخطوطات العربية وله آثار عديدة في ميدان التاريخ الإسلامي ، ينظر : العقيلي : المستشرقون ، ١/١٩٥ .

(١٩١٠) (١) ، لصاموئيل زويمر (Zwemer) (٢) ، وكتاب " النساء المحجبات " عام (١٩١٣) (٣) .

للمستشرق الانكليزي مرمدوك بيكتال (Pickthall) (٤) ، وهذا الكتاب يعتبر نقلة في سيرة البحث العام عن المرأة المسلمة ، ذلك إن مرمدوك هو رجل بريطاني اعتنق الإسلام ، وكتبه التي قدمها ستحدث ردة فعل في أوساط المستشرقين والرأي الغربي . وظهر كتاب آخر يتناول موضوع المرأة بعنوان " بنات سبا" (٥) ، لجون فيلبي (Phillyby) (٦) . لسنا بصدد معالجة توجه كل كتاب بقدر المحاولة للإشارة إلى ابرز العناوين التي درست المرأة المسلمة ضمن مجتمعها الشرقي .

لكن رغم أهمية الكتب السابقة الذكر، في تعزيز الرؤية الاستشراقية للباحث الغربي حول وضع المرأة الشرقية المسلمة، وبيان طبيعة وضعها الاجتماعي

(56) Daylight in the Harem , a new era for moslemwomen , Edited by :Samuel M Zwemer (new York : flaming H.Revell company -1910) .

(٥٧) صموئيل زويمر (١٨٦٧ .١٩٥٢) ، وهو رئيس المبشرين في الشرق الأوسط تولى تحرير مجلة عالم الإسلام وله مصنفات في العلاقات بين المسيحية والإسلام افقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية ، للمزيد ينظر : العقيقي : المستشرقون ، ٣/١٠٠٥ .

(58) Marmaduk picthall :veiled women ,(London :Eveleigh nash-1913).

(٥٩) مارمدوك وليم بيكتال (١٨٧٥ .1938) ، ولد في لندن وحال ضعف صحته دون إتمام السلك السياسي ، أرسل إلى سوريا فتعلم العربية ودرس عادات أهلها وأخلاقهم ، اعتنق الإسلام وألف العديد من الكتب عنه ؛ للمزيد ينظر : العقيقي : المستشرقون ، ٢ / ٥١٢ .

(٦٠) فيلبي : هو هاري سانت جون فيلبي (١٨٨٥ .١٩٦٠) ولد في جزيرة سيلان وتخرج باللغات الشرقية في جامعة اوكسفورد (١٩٠٧) ، ووظف في الهند (١٩٠٨ .١٩١٥) ، وفي العراق (١٩١٦) ، ورأس البعثة البريطانية إلى الجزيرة العربية (١٩١٧ .١٩١٨) ، تقلب بعدة مناصب حتى عين مستشاراً للملكة العربية السعودية وله العديد من المؤلفات ، ينظر : العقيقي ، المستشرقون ، ٢ / ٥٤٨ .

(٦١) هاري سانت فيلبي : بنات سبا رحلة في جنوب الجزيرة العربية ، تعريب : يوسف مختار الأمين ، ( الرياض : مكتبة العبيكان . ٢٠٠١) ، ١٠ .

والسياسي . إلا أن هذه الكتب بمجملها وغيرها أيضاً من التي قُدمت ؛ كلها كانت تمثل رؤية رجال بحثوا عن الغرابة واللذة والمغامرة في قصص الشرق التي استفزت مخيلتهم بما يحمله من عبقٍ وآثار . و يمكن إضافة جهد آخر إلى ذلك الكم الكبير من الإرث الاستشراقي الذي عني بدراسة الوضع المعاشي للمرأة الشرقية داخل مجتمعها . فقد

ظهر لدينا جهود نسوية حاولت تقديم رؤية أقرب لفهم وضع المرأة المسلمة (١) . كان من بين الأسماء اللامعة لنسوة غربيات اهتموا بالمرأة الشرقية ، المستشرقة **مارجريت سميث** (Margaret Smith) (٢) . والتي من خلال بحثها في ميادين التصوف الإسلامي ، تطرقت إلى المرأة الشرقية في كتابين احدهما تحدث عن " المرأة السودانية في مطلع الحياة " نشر عام (١٩٢٤م) (٣) ، وكتاب " المرأة الولية في عز الإسلام " نشر عام (١٩٢٧م) (٤) ، لكن الاسم الأهم والذي والذي يمثل محور هذه الدراسة فهو للمستشرقة الأميركية نبهة عبود (٥) . التي أولت لتاريخ الإسلام اهتماماً كبيراً كونه كان ميدان عملها ومن خلال هذا الاهتمام خصصت دراسة مستقلة عن المرأة المسلمة ، لكنها لم تكن لتتهم بدراسة وضع المرأة المسلمة اجتماعياً فقط ، بقدر تركيزها على الدور السياسي الخطير الذي

(٦٢) رغم النمطية والتكرار الموجود في كتابات المستشرقين عن المجتمع الإسلامي إلا انه كان هناك كتابات حملت بين طياتها صدقا في البحث والمجهود ، و لربما يسحب هذا الكلام على ما قدمته أقلام النساء الغربيات إذ أتاحت لهم فرصة الدخول إلى منظومات حريم القصور ما أعطاهم إمكانية رسم صورة أدق من ما جهله الرجال ومكنهم من التروي في طرح الفرضيات بصورة أكثر إنصافا من الرجال ؛ ينظر : احمد أبو رند :الاستشراق النسائي قصة حضارة في عيون منصفة ، ( الرباط : مطبعة الايسيكو . ٢٠١٧) مقدمة المؤلف .

(٦٣) العقيلي : المستشرقون ، ٥٢٧/٢ .

(٦٤) المرجع نفسه ، ٥٢٧/٢ .

(٦٥) المرجع نفسه ، ٥٢٧/٢ .

(٦٦) خصصت الفقرة السابقة حول سيرة نبهة وستخصص الفقرة التالية للحديث عن كتاب ملكات من بغداد .



لعبته المرأة وهي قريبة من مركز صناعة القرارات في أعلى مراتب الدولة ، وعليه فقد انتقت نماذج مهمة كانت ذات صدى كبير في تاريخ الإسلام المبكر، لكن في الواقع إن البحث سيركز على كتاب " ملكتان من بغداد" <sup>(١)</sup> . وهذا الكتاب تركزت مادته للحديث عن أشهر حقبة تاريخية في ذهن المتلقي الغربي عن الحضارة العربية الإسلامية ، والتي هي فترة حكم هارون الرشيد الشهير ولطالما كان هذا الاسم عالقاً في مخيلة الغربي ومن خلال كتابها هذا تناولت شخصيتي الخيزران وزبيدة ، أم الخليفة هارون الرشيد وزوجته مبينة فيه تأثيرات الأم والزوجة في ترتيب الكثير من أحداث العصر العباسي الأول ، ذلك أن الفترة التي عاشتاها كلتيهما امتدت على عهد خمسة خلفاء ، وبالتالي فان أثرهما سيكون مباشراً على مجرى الأحداث .

ثالثاً . كتاب ملكتان من بغداد :

أ . أهمية الكتاب :

في البداية ينبغي الإشارة إلى أن أهمية كتاب ملكتان من بغداد تكمن في كون نبيهة عبود اتبعت نمطاً جديداً في تتبع دور النساء اللاتي لعبن دوراً مهماً في الحياة السياسية على عصرهن وتركن أثراً مهماً <sup>(٢)</sup> ، فهذه المسألة تعتبر ذات أهمية ذلك أن تاريخ الإسلام على امتداده تجد فيه أسماء قليلة لنساء مارسن أثراً في صناعة القرارات السياسية <sup>(٣)</sup> ، لذلك ضمت معاجم السير سيراً لنساء قلائل جدا وصلن لمناصب مهمة في السلطة تناولتها تلك الكتب بطرقٍ مبهمة ولم تنطب في

(67) Nabia Abbott : Tow queens of Baghdad , mother and wife of harun al -Rashid- (Chicago: the university of Chicago -1946) .

(٦٨) نبيهة عبود : المرأة والسياسة في الإسلام ، ترجمة : عمر ابو النصر ( باريس : دار بابليون ٢٠١٠ ) ، (مقدمة المترجم ) ، ص٦ .

(٦٩) روث رودد : النساء في التراجم الإسلامية ، ترجمة : عبد الله بن إبراهيم العسكر ، (الكويت : جداول للنشر والتوزيع . ٢٠١٣) ، ط١ ، ص٢٣٦ .

الحديث عنهن<sup>(١)</sup>، وعزوف الكتاب المسلمين عن تدوين هكذا ظاهرة تعطي بعداً تاريخياً لطريقة التدوين التاريخي الذي كان يخضع لبعد عقائدي أو شعورهم بضرورة إبقاء النساء بعيداً عن مواضيع الطرح العامة<sup>(٢)</sup> .

لكن على الرغم من ذلك فقد لمعت أسماء نساء عدة كان لهن أثر بارز في سير الأحداث التاريخية على عصرهن ، ومن هنا جاء اهتمام باحثة كنييهة في الكتابة عن الدور السياسي الذي مارسته المرأة الشرقية ، فجاء كتاب ملكتين من بغداد : " يصف تاريخ امرأتين أو ملكتين لعبتا دوراً بارزاً في العصر العباسي وكان لهما تأثير عظيم في مقدراته وسياسته ... الخيزران أم الرشيد و زبيدة زوجته المفضلة ..."<sup>(٣)</sup> . لكن قبل الحديث عن كتاب ملكتين من بغداد ، ينبغي الإشارة إلى أن نبيهة اهتمت بالتسجيل للنساء اللاتي لعبن دوراً مهماً في الحياة السياسية ، إذ تقول في ذلك : " ... وان كنا لا نجد مصدراً واحداً من المصادر التاريخية يشير إلى هذا ، فقد عودنا المؤرخون المسلمون أن يكونوا كثيري الحذر والاختصار فيما يتعلق بإخبار الحريم وتحركات النساء خصوصاً أصحاب المراكز العالية منهن."<sup>(٤)</sup>، وتبين سبب اهتمامها بسرد الدور السياسي للمرأة المسلمة بقولها : " والواقع أن هذه الثغرات التي تركها المؤرخون الأقدمون في ثنايا التاريخ الإسلامي تدفع المؤرخ المعاصر في بعض الأحيان إلى أن يحاول الكشف

(70) Tow Queens of Baghdad :mother and wife of Harun ALRashed .by: Nabia abbott ,review by : Sidney Glazer , Middle East Journal , vol: 1,no:1,(janm1947) ,p: 94 .

(71) Tow Queens of Baghdad : mother and wife of Harun ALRashed . by : Nabia Abbott , review by : William thomson , The A merican historicl review , vol: 25, no: 3,p: 497 .

؛ وينظر

: روث : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٧٢) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ٦ .

(٧٣) المرجع نفسه ، (مقدمة المترجم ) ، ص ٧٦ .

عن أسرارها وما وراءها ، ولكن المرء لا يلبث أن يعود إلى نفسه ويدرك أن مثل هذا الطريق الوعر لا يستقيم في كثير من الحالات ، وأنه كثيراً ما يؤدي إلى الرجم بالغيب والعبث بالأحاجي والألغاز" (١) .

وانطلاقاً من هذه المسألة فقد كرست نبيهة نفسها لدراسة الدور السياسي الذي لعبته المرأة المسلمة ودراسة تلك الأسماء التي لمعت خلال حقب التاريخ الإسلامي المهمة، ويعتبر أول مشروع لها في هذا المجال كتابها (عائشة) (رضي الله عنها) الذي نشرته عام (١٩٤٢م) ويقول فيه ويليام تومسن (٢) :

انها رسمت فيه صورة متعاطفة للغاية مع زوجة الرسول المفضلة في حياتها العامة والخاصة ، وقدمت احكاماً رصينة جداً في شرح التأثير السياسي للسيدة الأولى . وانطلاقاً من هذه الفكرة فقد اهتمت بتتبع الدور الذي لعبته النساء المسلمات منذ الفترة المبكرة للإسلام ، ففي كتابها هذا قدمت وصفاً رائعاً للسيدة عائشة (رضي الله عنها) ، التي قادت جيشاً لمحاربة الإمام علي (رضي الله عنها) ، فكانت معركة الجمل التي فشل فيها جيش السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، فارتدت زوجة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بعد أن خسرت المعركة إلى المدينة نادمة حزينة ؛ أن تورطت فيما لا يجب أن تتورط فيه سيدة مثلها في هذه اللحظات الحرجة من تاريخ الإسلام (٣) . وتكملة لمشروعها هذا نشرت نبيهة أيضاً موضوعاً آخر في نفس هذا الباب في مجلة دراسات الشرق الأدنى بحثاً عن المرأة والدولة في الإسلام المبكر (٤) ، تشرح فيه التأثيرات السياسية لبعض الأميرات الأمويات عام (١٩٤٢) ، وهي في كتابها ملكتان من بغداد تستكمل المشروع الذي بدأته منذ عام (١٩٤٢م).

(٧٤) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ٩٦ .

(75) William Thomason : ibd , p : 496.

(76) Nabia : Aishah , p: 278.

(77) Nabia Abbott : Women and the state in early Islam , Journal of Eastern Studies , 1942, vol:1 , no : 1 , (106 .126) .

وكان نبيهة تحاول ربط الأحداث في أن أول حرب أهلية في الإسلام جاءت نتيجة أنشطة نسائية بحيث تذهب لإكمال فكرتها عن الدور الفعال للمرأة الشرقية في الحكم ، في الإشارة إلى التأثير الرهيب الذي مارسه كل من الخيزران وزبيدة ، مدللة إلى فكرة مفادها انه رغم كون المجتمع العربي ذكوري وتعامله في طرح قضية المرأة بوجود محاذير مسبقة، إلى أن ذلك لم يحل دون وجود أثر نسوي مباشر في الأحداث السياسية لتاريخ الإسلام<sup>(١)</sup> ، وهي تفصح عن هذه الفكرة في مقدمة كتابها "ملكستان من بغداد": (وأحس هارون الرشيد نفسه بتأثير هاتين المرأتين ، في تاريخه وحياته ، فقد كانت رغبة الخيزران الملحة في السلطان والحكم ظاهرة المعالم في عهدي والده وشقيقه ، أما زبيدة فان تأثيرها اللطيف طال بعده إلى عهد ولديه الأمين والمأمون ، ولهذا نرى أن تاريخ هاتين الملكتين قد كشف النور عن أخلاق ومصاير خمسة من الخلفاء العباسيين . " (٢) .

إن كتاب ملكتا بغداد يعتبر كتاباً مهماً ، فهو كما يقول أبو النصر مترجم الكتاب : " فجاء كتابها الأول من نوعه في العربية واللغات الأجنبية ، لأننا لانعرف كتاباً تتناول حديث هاتين السيدتين من كتاب العرب أو من كتاب الغرب مثلها . " (٣) . كما أن نبيهة في حقيقتها امرأة ذات أصول شرقية ارتحلت مع عائلتها ، حتى استقر بهم المقام في ولاية شيكاغو إذ انضمت هناك إلى كادر المعهد الشرقي<sup>(٤)</sup> لذلك فإن متتبع كتاباتها يجدها تتسم بالموضوعية والتزام النصوص التاريخية دون الدخول في نمطيات الاستشراق إضافة إلى أن نبيهة عبود تعتبر من النساء اللاتي أسسن لبرنامج التعليم النسوي في العراق<sup>(٥)</sup> . المسألة التي كانت ذات أثر بالغ في

(٧٨) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ١٠ .

(٧٩) المرجع نفسه ، (مقدمة المترجم ) ، ص ٧ .

(٨٠) المرجع نفسه ، (مقدمة المترجم) ، ص ٧ .

(81) Muhsin : ibd , p : 146 .

(82) lbd , p: 146.

تطور اهتمام نبيهة بدراسة الوضع الاجتماعي للمرأة الشرقية، إذ تعزو كون سبب قلة ذكر النسوة البارزات في كتب التاريخ بقولها : "... ولعل سبب هذا كراهية المسلمون لتدخل النساء في السياسة وشؤون الحكم ، ومع تبدل الزمن وتغيره آخذ المسلمون التقدميون يتعاونون مع المرأة لتشارك في بناء الدنيا الجديدة التي يعملون على بنائها ... " (١) .

ب . النساء والسلطة من خلال كتاب ملكتا بغداد :

في الحقيقة إن كتاب ملكتا بغداد هو كتاب ذو شقين ، في الشق الأول منه نجده يركز على الدور الذي لعبته الجارية التي تسلفت لتصل إلى السلطة بحيث تحكمت في مصير الخلافة ، والتي هي الخيزران كما تشير نبيهة بالقول : "... صورة للجارية الجميلة الدقيقة القوام الطاغية الأنوثة ، بارعة الجمال... التي استطاعت أن تخطو الخطوة الأولى فترتفع من جارية عادية تباع في سوق الرقيق لتكون محظية الأمير فأم أولاده فزوجته الرسمية والملكة غير المتوجة ... " (٢) ، أما الشق الثاني منه هو صورة الزوجة التي لم تكابد ماعانته الخيزران وجاءت بطريقة ممهدة للسلطة ، لكنها كانت ملزمة بالخوض في صراع مغاير والذي شخصته نبيهة بالقول : " كان على زبيدة رغم ثقته بحب هارون ، أن تحسب حساباً لأمرين : أولهما جوارى البلاط وتقربهن من هارون ، وثانيهما ... ولد يسر له قلب الرشيد ويحفظ العرش " (٣)، إن هذه الانتقال المباشرة التي تقدمها نبيهة لصورة المقارنة بين الصراع الطويل الذي خاضته الخيزران والمثابرة من كونها جارية حتى صارت أمّاً للخلفاء ، وظهور زبيدة وبدأ صراع جديد من نوع آخر ، والذي يتمثل بالزوجة التي تسعى للتفوق على منافساتها . وهو بالفعل

(٨٣) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ١١ .

(٨٤) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ١٣٣ .

(٨٥) المرجع نفسه ، ص ١٣٦ .

تواصل خطير ودليل على إيمانها بوجود قوة نسويه فعالة تلعب دوراً مهماً في تسير الأحداث الداخلية لقصر الخلافة .

بالتأكيد إن نبيهة أدركت أن قصور الخلفاء كانت تضم آلاف الجواري ، وان ثلاثة فقط من الخلفاء العباسيين كانت أمهاتهم حرائر<sup>(١)</sup> ، في حين كان أربعة وثلاثون منهم أمهاتهم جواري. فلنا أن نتصور المساحة التي تحركت عليها الجواري في هذا العصر، ليمتد تأثيرهن إلى الحياة الثقافية والاقتصادية وصولاً إلى السلطة<sup>(٢)</sup>، ومن هذه النقطة تحاول نبيهة تقديم شخصية السيدتين عن طريق عرضهما بنوعٍ من المقارنة للدور البارز الذي لعبته كلتاها و طبيعة تأثيرهما في تسير الأحداث ، إذا هي تركز على الدور النفسي الذي لعبته كل من الخيزران وزبيدة ، في كون إحداها أعدت نفسها للسلطة وفرض نفسها على الحاكم، والأخرى كرسست نفسها لبيان هيبتها بصورة مغايرة بالترام طريقة دعائية هادئة .

وتقول نبيهة في ذلك : " فقد كانت رغبة الخيزران الملحة في السلطان والحكم ظاهرة المعالم في عهدي والده وشقيقه ، أما زبيدة فان تأثيرها اللطيف طال بعده إلى عهد ولديه الأمين والمأمون . " (٣) .

إن اسم السيدتين كلتيهما التصق بشهرة هارون الرشيد ، لكن نبيهة تحدد تفاوت تلك الشهرة : " والواقع أن اسم هارون الرشيد لا يزال حتى هذه الساعة أكثر الأسماء دوراناً على الألسنة ، كما أن لزبيدة زوجته حظها من هذه الشهرة المترامية الأطراف ، ولكن القليلون يذكرون اسم (الخيزران) التي

(٨٦) استطاعت نبيهة قرأه المصادر العربية الإسلامية بطريقة عميقة رسمت بها صورة واضحة للوضع الحقيقي الذي بلغته النساء في القصور العباسية ، و هذه أهم المميزات للنص الذي قدمته لنا ، للمزيد عن موضوع أمهات الخلفاء ينظر : ناهضة مطر حسن : سلطة الجواري في العصر العباسي ( ١٥٨ . ٣٣٤ هـ ) ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، ٢٠٠٧ .

(٨٧) المرجع نفسه ، ص ١١٣ .

(٨٨) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ١٠ .

كانت أكثر جرأة وسياسة من زميلتها ، ولعل سبب هذا كراهية المسلمين لتدخل النساء في السياسة وشؤون الحكم " (١) . وهذا دليل واضح تقدمه نبهة انه لا يوجد موضوع في التاريخ الإسلامي مثقل ايدولوجيا مثل مسألة تدخل النساء في شؤون السياسة والحكم . كما يؤكد نص نبهة إلى مسألة مهمة حاولت عرضها على طول الحديث عن سيرة الخيزران ، فهي من خلال هذا الحديث تضع القارئ دائماً في حالة تنبيه إلى قضايا جدية مهمة خاصة بالدولة وتشير إلى مدى الفساد الذي كان مستشرياً في مفاصل ومؤسسات الدولة ، فالكل يعلم أن العصور العباسية الأولى شهدت ازدياداً واضحاً في أعداد الجواري ، إذ جلبن إلى بغداد من مختلف البلدان والبقاع بحيث أصبح الحديث عنهن يشغل مجالس السلطة الحاكمة ، لاسيما الخلفاء الذين امتلأت كتب التاريخ بمغامراتهم مع الجواري (٢) ، ولذلك فان جارية مثل الخيزران وصفتها كتب التاريخ بجمال أخاذ ، حتى جاءت تسميتها من وصف هيتها ولذلك فهي بالتأكيد ستأسر لب المهدي (١٥٨.١٦٩ هـ / ٧٧٥ . ٧٨٥ م) ؛ حتى جاءت تسميتها من وصف هيتها ولذلك فهي بالتأكيد ستأسر لب المهدي (١٥٨.١٦٩ هـ / ٧٧٥ . ٧٨٥ م) ، وتأخذ مكان زوجته ربطة بنت السفاح في قريتها منه (٤) .

(٨٩) المرجع نفسه ، ص ١٠ . ١١ .

(٩٠) ناهضة : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٩١) هو أبو عبد الله المنصور بن علي المهدي بالله (١٥٨ . ١٦٩ هـ / ٧٧٥ . ٧٨٥ م) ؛ للمزيد ينظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٧) ، ط ١ ، ٧ / ١١٠ . ؛ وينظر : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ، حققه : شعيب الأرنؤوط وكامل الخراط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٩٨٢) ط ١ ، ٧ / ٤٠٠ .

(٩٢) ربطة : وهي ربطة بنت ابي العباس زوجة الخليفة المهدي تزوجت ابن عمها في خلافة المنصور عام (١٤٤ هـ) ، وولدت له ولدين توفيت اواخر ايام موسى الهادي سنة (١٧٠ هـ) . للمزيد ينظر : الطبري : المصدر السابق ، ٧ / ٥١٧ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ، ١٠ / ١٩٠ ؛ امل محي الدين الكردي : دور النساء في الخلافة العباسية ، (الاردين : دار اليازوري . ٢٠١٦) ، ص ٢٦ . ٢٣ .

لذلك عملت جاهداً حتى يستلم أولادها العرش بعد أبيهم المهدي<sup>(١)</sup> ، وتشير نبيهة إلى الدور المؤثر للخيزران في تعيين أباها غطريف على ولاية اليمن<sup>(٢)</sup> ، ثم ثقتها في عدم وجود من ينافسها على قلب المهدي من جواري القصر إذ تقول : " حتى ربطة الزوجة الرسمية وهي ابنة عمه لم تقلقها ولأخافت من خطرها "<sup>(٣)</sup> ، وتستطرد نبيهة بالقول " ... يدل دلالة لا يرقى إليها الشك بأنها كانت ذات شخصية قوية وجمال بارع وتأثير عظيم "<sup>(٤)</sup> . وما أن تحولت إلى زوجة رسمية ثانية حتى بدا تأثيرها واضحاً في منع قرارات بيت الخلافة وأهم هذه المسائل كانت موضوع خلافة أولادها إذ تقول نبيهة في ذلك : " وخطر الخيزران في التاريخ يعود إلى مساعيها الصامته القوية في تولية ولديها العرش بعد أبيهما ... "<sup>(٥)</sup> . وبمجرد وفاة المهدي تغير دور الخيزران من زوجة خليفة إلى أم خليفة بحيث أطلقت يدها على مؤسسات الدولة ، وتربط نبيهة هذه المسألة بالطريقة التي تم بها نشأة كل من موسى الهادي وأخيه هارون الرشيد ، بحيث تعطي وصفاً دقيقاً لكيفية عناية الخيزران بالابن الأقرب إليها : " وأما الهادي فقد ترك أمر تدريبه لجماعة أقل وزناً ... "<sup>(٦)</sup> ، وتقدم نبيهة وقفات رائعة في وصف شخصيتها إذ تصف الخيزران بطريقة تطور شخصيتها عبر مراحل حياتها وصفاً عميقاً فتقول : "... وبموت المهدي انتهى عهد من حياة الخيزران وبدأت عهداً جديداً تركت في العهد الأول شبابها وسعادتها ونجاحها واستقبلت عهداً جديداً يتسم بالكهولة والسلطان

(٩٣) تقدم نبيهة وصفاً غاية في الدقة لهذه المسألة صفحة ، ٣٧ .

(٩٤) المرجع نفسه ، ص٤٣ .

(٩٥) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ٤٦ .

(٩٦) المرجع نفسه ، ص٥٢ .

(٩٧) المرجع نفسه ، ص ٦٢ .

(٩٨) المرجع نفسه ، ص ٧٥ .



والفاجعة".<sup>(١)</sup> إذا هي لا تقدم وصف تاريخي فقط بل تعطي للوصف متطلبات المرحلة الإنسانية ، في خليط دقيق من الصور الوصفية التي تعطي تخيلاً بصرياً للشخصية .

وتنتقل نبيهة للدور التسلطي الذي مارسه الخيزران في بداية تولي الهادي للخلافة (١٦٩ . ١٧٠ هـ/ ٧٨٦.٧٨٥ م) ، بحيث أصبح هناك هوة عميقة من الشقاق بينها وبين ابنها : " فلما استوى الهادي على عرش الخلافة، عظم تدخل أمه في شؤونها فمنعها وهدد من يزورها من رجال دولته وقواده ، فنقمت عليه وقاطعته . " (٢) ، حتى أنها اتهمت بقتله<sup>(٣)</sup> ، كما تشير نبيهة : " ويقال أنها عملت على قتله لما عرفت برغبته في خلع شقيقه هارون عن الخلافة والبيعة لابنه، وكانت تحب هارون حباً مفرطاً ولا ترى مثله أحداً"<sup>(٤)</sup> . ونبيهة لا تقدم قيام الخيزران بقتل ولدها الهادي لأنها تحب هارون فقط ولكنها تعطي بعداً نفسياً للمرأة التي أحست بوجود خطر محقق يهدد كيانها : "إن الخيزران لم تكن تحب الهادي حب أم لولدها وإنما تنتظر إليه كرجل حاول إذلالها . " (٥) ، وهي تتفق في كلامها كلامها هذا مع رواية الطبري<sup>(٦)</sup> . التي أوردتها في مقتل الهادي ، بحيث تدل للأمر للأمر دلالة قاطعة أن أي ممارسة للسياسة تبعد كل علاقة ود أو صلة قرية وهي

(٩٩) المرجع نفسه ، ص ٦٤.٦٣ .

(١٠٠) ويفصل الطبري الذكر في هذه المسألة ، للمزيد ينظر : تاريخ الرسل والملوك ، ٢١٣.٢٠٥/٨

؛وينظر: نفاؤل عبد اللطيف جاسم و اركان طه عبد : دور النساء في حكم دولة بني العباس خلال العصر العباسي الاول الخيزران نموذجاً. مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية ، مجلد ٥ ، العدد ١١ ، السنة الخامسة ، شباط ٢٠١٨ ، ص٢٣٠.

(١٠١) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ٦٤.

(١٠٢) المرجع نفسه ، ص١١٩.

(١٠٣) المرجع نفسه ، ص١٣٢.

(١٠٤) الطبري : تاريخ ، ٢٠٥/٨.

حقيقة لفترة مميزة في اسطر كتاب نبيهة . أما تقييم نبيهة النهائي لشخصية الخيزران في الحديث عن وفاتها تقول : " كانت الخيزران امرأة تخشى وتخيف لا امرأة تحب وتبكي وتندب بعد موتها ، ولا بد أن يحيى بن خالد قد تنفس الصعداء بعد ذهابها ، فقد كانت تشاطره السلطان وتحكم وتأمر ، كما لم تفعل امرأة في الدولة ... " (١) .

وتنقل نبيهة المشهد الذي كانت الخيزران نقطة التركيز فيه والقوة والاستحكام الذي لعبته في تغيير مسار الأحداث بما يلائمها في الصراع الدائم والمحموم لأجل الاستحواذ على السلطة ، إلى مشهد آخر يختلف كلياً بل هو بعيد كل البعد عن صراع الخيزران في وصف دور زبيدة التي حلت محلها في ديمومة الحكم والعرش لابنها وتقول في ذلك : " ولسنا نقع في المصادر التاريخية العديدة على موقف زبيدة من كثير من حوادث البلاط ويبدو أنها كانت أبداً في مشاغل عنها بشؤونها الخاصة ... " (٢) . كما أنها تقدم في مقارنتها بين تنشئة الأمين والمأمون شيئاً من الشبه لما حصل بين الهادي وهارون وتحاول بيان اثر الأم في تكوين شخصية الأولاد (٣) ، لكنها تحاول إبراز الخيزران اشد كياسة وأقوم للحكم منها لزبيدة التي كان ولدها غير كفاء مقارنة بأخيه (٤) ، "ويبدو إن زبيدة نفسها لم تكن بعيدة عن هذه المعركة الصامتة التي كانت تدور ... بين الأخوين وبالتأكيد كانت مسؤولة عن الضعف الذي ينشأ به محمد الأمين ، من عدم اعتماده على نفسه واستقلاله بالرأي ... " (٥) ، وهي في نهاية حديثها عن الحرب

(١٠٥) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ١٥٠.

(١٠٦) المرجع نفسه ، ص ١٦٠ وما بعدها .

(١٠٧) المرجع نفسه ، ص ١٦٩ .

(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ١٦٩ .

(١٠٩) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص ١٧٠.

التي جرت بين الأمين والمأمون تؤكد بعدها عن ميدان السياسة وتجنب أي اصطدام مع المأمون بعد مقتل ابنها الأمين .

من خلال متابعة الكتاب يمكن التعرف إلى الطريقة المميزة التي قدمت بها نبیة كلتا الشخصيتين والمكانة التي حظيتا بها ، حتى أنها تقدم في كثير من الأحيان دراسة استقصائية للتركيبية السايكولوجية لكلتا الشخصيتين والاستعداد النفسي لتقبل التحدي والتعامل معه، موفتةً نظر القارئ إلى الجهد الأكاديمي المتقن في محاولتها دراسة الشخوص دراسة موضوعية مبتعدة في كثير من الأحيان عن النمطيات الاستشراقية والركون إلى الجهد الواضح في تقديم فكر يتجاوز المؤثرات ويبحث عن الحقيقة .

### ج . موضوعية نبیة في دراسة الشخوص .:

تبقى لدينا مسألة أخيرة ينبغي الإشارة إليها، وهي الكيفية التي تعاملت فيها نبیة مع النصوص التاريخية التي كانت تحت يدها، للوصول إلى أدق النتائج في دراستها هذه . فهي منذ البداية تعطي لمحة للقارئ أنها ستعامل مع أشخاص حقيقيين أصبحوا أبطالاً لقصص أسطورية مزجت فيها تفاصيل بين الحقيقة والخيال ، وهي تشير إلى ذلك بقولها : " كانت الشهرة التي ظفر بها هارون الرشيد أشهر خلفاء بغداد في عالم التاريخ والأساطير وبطل الكثير من قصص ألف ليلة وليلة سبباً في أن يكون مدى الأجيال العديدة السابقة والتالية موضع اهتمام المؤرخين والأدباء وكتاب تاريخ المشاهير والخالدين " (١) ، إذاً هي تلمح للبس المصاحب لدراسة حياة هارون الرشيد من قبل الرواية التاريخية الشرقية ؛ أولاً والرواية الغربية التي نسجت على الفهم الخاطئ لها ، لكن الذي يعيننا بدراستنا هذه الجانب الأول في طريقتها لدراسة المصادر الأصلية، والتقييم العميق

(١١٠) المرجع نفسه، ص ٩.

المقدم للوصول إلى حقيقة البعد التاريخي لما اتصل بهارون الرشيد من شخصيات نسائية لعبت دوراً مهماً في بلاط الدولة .

أفادت نبيهة من عدة نصوص تاريخية مهمة في تقديم دراستها ، وتشير إلى أسماء كتب داخل نصها بالقول : "... كما فعل اليعقوبي في تاريخه والمسعودي في مروج الذهب ..."<sup>(١)</sup> ، ويقول تومسن في ذلك<sup>(٢)</sup> : " حددت الدكتورة عبود هدفها في الصفحة ١٨ من كتابها أن سردها لقصة ملكتي بغداد سيكون قدر الإمكان محافظاً على ما جاءت به السجلات التاريخية ، لذلك فمن الواضح أن التاريخ كان بالنسبة لها ذو دلالة مهمة جداً في رواية قصتها ، وبمراجعة قائمة مصادرها يتبين أنها قد نجحت بوعي تام في البقاء على مقربة من المصادر الأساسية" . إضافة إلى أن نبيهة استفادت من المصادر الأصلية باللغتين العربية والانكليزية وبطبعتها العالمية الشهيرة ، فيشير أبو النصر في هامش ترجمته لكتاب ملكتان من بغداد أن الطبعة الأوربية لكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري ، وهي طبعة دي غوي<sup>(٣)</sup> ، وهذه الكتب التي تخللت نص نبيهة وغيرها من النصوص هي من أعطت النص مصداقية وقرباً من حقيقة الحدث التاريخي .

لكن يبقى السؤال هو في الكيفية التي استطاعت بها نبيهة استخدام النصوص التي أتاحت لها دراستها والاستفادة منها ، فقد ركزت من خلال النصوص التاريخية على تبيان وجهة النظر الشرقية في مسألة مهمة جداً وهي دخول المرأة إلى الميدان السياسي ، والطريقة التي وثقت بها كتابات المسلمين هذه المسألة . وهي من خلال تركيزها على الكيفية التي أثرت فيها قرارات الخيزران على ولدها الرشيد ومن سبقه تشير إلى ذلك بقولها : " ولقد فطن مؤرخو الإسلام

(١١١) المرجع نفسه ، ص ١١٠ .

(112) William Thomson :ibd,p:498.

(١١٣) نبيهة : المرأة والسياسة ، ص هامش صفحة ١٤ .

القدامى إلى التأثير السياسي الذي كان يتعرض له من أمه الخيزران وزوجته زبيدة فأشاروا لهذا التأثير ووصفوه وعلقوا عليه<sup>(١)</sup> ، بحيث تبين للقارئ أن النصوص التاريخية الإسلامية قد وقفت موقف الصمت من تولي المرأة الحكم بالقول . : " والواقع أن هذه الثغرات التي تركها المؤرخون الأقدمون في ثنايا التاريخ الإسلامي تدفع المؤرخ المعاصر في بعض الأحيان إلى أن يحاول الكشف عن أسرارها وما وراءها ... " <sup>(٢)</sup> ، إن إقلال المصادر التاريخية كما تشير نبيهة حول مسألة الحريم ، والأمور التي كانت تجري في الخفاء قد أوقع النصوص بإرباك في سبيل نقل كل الحقيقة التاريخية فنقول في ذلك :- "والمؤرخون إلى هذا لا يتحدثون في كثير ولا قليل عن العلاقات بين والدة الخليفة وزوجته المحببة الخيزران وزبيدة مثلاً، فلا ندري أكانا على وفاق أم اختلفا سياسةً ومنازعاً ورغبة في السيطرة على صاحب التاج لقد شاركت الخيزران ام هارون ولداها في شهرته وحوادثه وكذلك فعلت زبيدة زوجته ومع هذا فانا لا نعثر على خبر واحد يتحدث عن علاقتهما الواحدة مع الأخرى ."<sup>(٣)</sup> . والواضح جدا إن المرأة المسلمة كانت عالما مخفي حتى بالنسبة للمجتمع المسلم وخاصة نساء البلاط ، لذلك لا يعلم المؤرخون عن المرأة إلا النزر اليسير ونبيهة بعملها هذا حاولت فهم ذلك العالم المخفي الذي لم تسعنا المصادر على فهمه ، وتشير إلى ذلك سيدني كلازر بالقول ، أن نبيهة ركزت على متابعة دور الامراتين ، وهما الخيزران وزبيدة وراء فيما الكواليس في تشكيل واحدة من أعظم الإمبراطوريات العظمى في العصور الوسطى<sup>(٤)</sup> .

(١١٤) المرجع نفسه، ص ٩٠.

(١١٥) كلامها في سيطرة المرأة على مقاليد الحكم في صفحات ٢٣، ٦٦، ٦٨، ١٩٥.

(١١٦) نبيهة : المرأة والسياسة، ص ٨٠.

(117) Sidney Glazer:ibid,p:95.

نستشف من نصوص نبيهة عبود وطريقتها في إلقاء اللوم على غموض المصادر الإسلامية في طرحها المبهم لكثير من جوانب حياة نساء القصر والدور الريادي لكل من الخيزران وزبيدة ودورهما المباشر في صناعة الأحداث التي كانت تدور في حجرات القصر العباسي المغلقة ؛ لمحة أكاديمية بارعة في دراسة النصوص التاريخية ونقدها وإخراجها من الطور القصصي المبالغ فيه الذي مزج مع الكثير من الحقائق التاريخية في حياة الخيزران وزبيدة والشخصية الألمع بينهما وهو هارون الرشيد الذي يعتبر محور القصة الحقيقة والتي كان محط تجاذب بين تلك الشخصيتين اللتين كانتا على طرفي نقيض ، وإضفاء لمحة واقعية في سرد قصته ونقلها الى المتلقي الغربي بالصورة الأكاديمية المحبوبة.

### الخلاصة

يمكن القول من كل ما سبق انه كان للمرأة الشرقية دور فعال ومهم داخل المجتمع المسلم فطن إليه الغرب واهتم بدراسته ، لكن هذا الموضوع قدم في اغلب تلك الدراسات بطريقة فجة ومشوهة أثرت في الصور المتخيلة عن المجتمع العربي لدى المتلقي الغربي إذ مزجت تلك الصورة بين الحقيقة والخيال، وقد كان من بين تلك المحاولات المقدمة في دراسة المرأة الشرقية المسلمة .

ووضعها داخل مجتمعها جهوداً لأقلام نسائية خرجت عن طور النمطية والتجني الذي أصاب اغلب ما كتب عن الشرق . وهنا كان لكتاب نبيهة (ملكستان من بغداد) ، اثر بارز في تقديم دراسة جادة منقنة بطريقة تسترعي التوقف والنظر فقد حاولت نبيهة عبود فيه رصد الدور السياسي المؤثر والخطير الذي لعبته المرأة المسلمة ، إذ قدمت فيه سيرة امرأتين كانتا على طرفين قبيض وهما الخيزران وزبيدة، وصلتا إلى أعلى المراكز في سلطة الدولة ، إذ امتد تأثيرها ليشمل عهد خمسة من خلفاء بني العباس كان أشهرهم هارون الرشيد الذي اقترنت

شهرته بقصص ألف ليلة وليلة . كانت الأولى جارية تسلفت لتصبح سيدة القصر دون منازع ، والثانية ولدت في ترف ونعيم القصر ولم تكابد ما كابدته الأولى .

حاولت نبیة من خلال بحثها هذا دراسة طريقة التطور السايكولوجي للخيزران خلال مراحل حياتها من كونها جارية ، إلى أن صارت أم ولد فزوجة للخليفة لتصبح لاحقا أما لخليفة تتحكم بكل صغيرة وكبيرة ، وبالمقابل قدمت نفس الشيء عند الحديث عن زبيدة ، بحيث توجه نظر القارئ لدور نساء وجواري القصر ودورهن داخل البلاط العباسي ، والتي كانت مؤشرا على سوء الإدارة الذي كان مستشري ، وأخيرا تركز نبیة على مسألة جدا مهمة ؛ وهي طريقة تعامل المصادر الإسلامية في طرح مسألة تولى المرأة للحكم والتي تجلت خلال حديثها عن الخيزران والغموض الذي يلف كثير من تفاصيل حياتها ، معللة ذلك بكون النصوص التاريخية الإسلامية لم تسعف الباحث في كثير من الأحيان بالمادة اللازمة للتعرف على كنه الشخصية النسائية المطروحة للدرس لذلك هي تشير إلى أن النصوص التاريخية أنها قد أقلت في هذا الجانب وعليه فأن الملاحظ على النص الذي قدمته حمل في ثناياه عمقا في الدراسة يشار إليه ، أخيرا فان الجهد الذي قدمته نبیة كان يحمل الكثير من الموضوعية في الطرح والخروج عن السلوك النمطي الذي هيمن على الكثير من أعمال المستشرقين .

*Nabia Abbott and the role of the Eastern ruling woman, a study  
in a book*

*(Two queens of Baghdad)*

**Lect. Dr. Wamid Muhammad Shaker Ibrahim**

**Key words : al-Hadi, al-Rashid, Al-Khaizuran**

Abstract

Nabia Abbott was a western historian and scholar of oriental origins. She had presented through her long and rich scientific career works that had a great impact on the Western understanding of Islam and the civilization that Islam produced. One of the important books that Abbott published was *Two Queens of Baghdad*, which represented two women who played important roles in the early Abbasid era. Al-Khaizuran, the wife of the Mahdi, and mother of al-Hadi and al-Rashid. And Zubaidah, the wife of al-Rashid and the mother of al-Amin. This book presents the political influence of these royal eastern women inside the Abbasid court.